مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية المجلد (٢١) العدد الأول أذار ٢٠٢٦

Kirkuk University Journal: Humanity Studies

مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية

ISSN P: 1992-1179
ISSN E: 3107-3360

https://kujhs.uokirkuk.edu.iq

DOI: 10.32894/1992-1179.2026.168354.1332

Manifestations of Individual and Collective Pride in the Poetry of Banu Tamim during the Pre-Islamic Era

Lect. Dr. Doaa Ali Abdulhussein
doaaali@uomustansiriyah.edu.iq

Date of research received 05/01/2026, Revise date 23/01/2026, accepted date 12/02/2026, Online Publishing15/3/2026

Abstract

Neither the yearning to live in the arid desert, nor the bitter struggle for survival in a land scarce in resources, stripped the Arab of his humanity; on the contrary, this existential struggle transformed into an epic of twofold pride. From this convergence of belonging to the group and individual self-respect was born the "Hero of the Desert" that unique archetype that unites these two opposing forces in a symphony of pride and dignity.

This composite image, which recurs in pre-Islamic poetry, was not merely a description, but rather a confirmation of the identity of the noble Arab who sees in the combination of these qualities a perfection that warrants pride. This research draws on the collected poetry of the Banu Tamim tribe by Dr. Abdul Hamid Mahmoud Al-Mu'aini, in addition to a wide range of linguistic and historical sources that are critically examined throughout the text. The research adopts a descriptive and analytical methodology, beginning with an introductory section that outlines the tribe's identity and highlights its historical and literary significance in antiquity. This research was divided into two main sections, The first examines manifestations of individual pride in the poetry of Banu Tamim, analyzing the ways in which poets articulate self-glorification through refined linguistic expression and rich rhetorical imagery, reflecting a clear continuity with pre-Islamic poetic traditions.

The second section focuses on collective pride, demonstrating how the poet functions as the authoritative and resonant voice of the tribe, articulating its values, achievements, and collective identity.

Keywords: Pre-Islamic Era, Banu Tamim Tribe, Pride, Individual Pride, Collective Pride.

تجليات الفخر الذاتي والجماعي في شعر بني تميم في العصر الجاهلي

م.د. دعاء علي عبد الحسين *

تاريخ الارسال ٢٠٢٦/١/٠٥ ، تاريخ التعديل ٢٠٢٦/٠١/٢٣ ، تاريخ القبول ٢٠٢٦/٠٢/١٢ ، تاريخ النشر ٢٠٢٦/٣/١٥

المقدمة

لم يكن شغف العيش في البيداء القاحلة، ولا صراع البقاء المرير في أرضٍ شحّت مواردها، ليُجرّد الإنسان العربي من جوهره الإنساني؛ بل على العكس، حوّل هذا الصراع الوجودي إلى ملحمة من الفخر المزدوج. ففي الوقت الذي فرضت فيه قسوة البيئة قوانين "العصبية القبلية" كحصنٍ منيع يلوذ به الفرد (فخر جماعي)، انبثقت من رحم هذه المعاناة منظومة أخلاقية رفيعة تُعلي من شأن الفرد ذاته (فخر ذاتي)؛ قوامها المروءة، الإيثار، النجدة، والترفع عن الصغائر كالبخل والغدر.

ففي الفخر الجماعي هو السيف الصارم والحصن المنيع لقبيلته، القاسي على أعدائها، والوفيّ لذوي القربى، لا يلين له جانب حينما يتعلق الأمر بحماية "الحمى" والذود عن العشيرة. وعند الفخر الذاتي هو الإنسان المُرهف الذي لا ينتقص الدمع من رجولته حين يقف على الأطلال باكياً أحبته، وهو الكريم الذي يُفني ماله في مجالس الصحب, هذه الصورة المركبة التي تكررت في الشعر الجاهلي لم تكن مجرد وصف، بل كانت ترسيخاً لهوية العربي الأبيّ الذي يرى في اجتماع هذه الصفات كمالاً يستوجب الاعتزاز، وتأكيداً لقدرته على قهر الظروف بإنسانيته وبأسه معاً، وهو ما يتجلى بوضوح في شعر بني تميم في الجاهلية, فقد اعتمد البحث على الشعر المجموع من بني تميم للدكتور عبد الحميد محمود المعيني وعلى دراسات لغوية وتاريخية استعرضتها داخل المتن بالتفصل. وجاءت منهجية البحث على مقدمة وضحت القبيلة ومكانتها التاريخية والأدبية قديما واستعرضت أهمية شعرهم كوثيقة لا غنى عنها وانقسم على مبحثين: المبحث الأول تجليات الفخر الذاتي في شعر بني تميم وكيف تسطر على لغة جزلة وصور بلاغية كانت امتداد للشعر الجاهلي, اما المبحث الثاني تجليات الفخر الجماعي في شعر بني تميم فكان الشاعر هو الصوت الصادح باسم الجماعة.

الكلمات المفتاحية: الجاهلي، قبيلة بني تميم ، الفخر ، فخر ذاتي ، فخر جماعي

التمهيد

تعد قبيلة تميم من اهم القبائل العربية وأكثرها عدد وانتشاراً في البلاد وهي قبيلة مضرية عدنانية مشهورة باللغة الفصحى و اعتنى " اللغويون بهذه اللغة التميمية عندما أرادو تدوين العربية ، فقد وضعوا قواعد جعلوها اساساً للتسجيل اللغات إذ حرصوا على أن تكون من اللغات المنعزلة التي تتاخم ألسنة اجنبية" (عبد الباقي، د. ضاحي ، ١٩٨٥ ، ص٥٨) وقد استعرض "الدكتور صبحي

* doaaali@uomustansiriyah.edu.iq قسم اللغة العربية, كلية التربية, الجامعة المستنصرية

الصالح في كتابه (فقه اللغة) في الفصل الرابع دراسة تحت عنوان لهجة قريش وخصائصها "(الصالح ، د. صبحي ، ٢٠١٤ ،ص ٧٢. ١٠٥) وكانت مَنازل تميم واسعة ، شاسعة فضخامة عدد القبيلة وكثرة بطونها جعل لها ديار كثيرة ومنازل فسيحة"(الماضي ' فوزان بن حمد محمد ، ٢٠٠٢،ص٢٧) إن حياة تميم الاجتماعية والقبلية طبعت بالسمات نفسها التي طبعت بها حياة القبائل العربية الموغلة في البداوة، فهي تسكن البوادي ، وأن غالبية قبائل تميم لم تعرف الاستقرار بل هي دائبة التنقل وترتحل تبعاً لعوامل عديدة منها جدب المرعى والقحط والأخطار الداهمة والعلاقات القبلية ، وأخبار تميم تحدث عن مجتمع يكثر فيه السادة والأشراف والفرسان والشعراء والحكماء، ولهم شأن عظيم في ثلاثة ميادين هي : الحرب والشعر، والأمن ، ففي ميدان الحرب، نجد تميم قبيلة محاربة ومفزعة، لديها متخصصون في القتال، وفيها أمهر الفرسان، ومساعير الحرب ، تسلحت بكل وسائل الحرب الدفاعية والهجومية، من بطولة وشدة وصبر، وفيها من الفرسان الذين شهدت لهم العرب بشجاعتهم، ويذكر عمرو بن معدي كرب أنه لا يخشى أحداً من فرسان العرب ما

اما في الميدان الادبي فقد ترأست القبيلة المحافل الأدبية فمنهم اكثم بن صيفي ، وصاحب بن ابن زرارة و أسوس بن حجر ، وعلقمة الفحل " اما في الحروب والأيام فقد خاضت الكثير من المعارك وجاء في شجاعتهم قول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) عن بني تميم " هم اشد الناس قتالاً في الملاحم " (الفريح ، د. عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن ، ص١٠٨)(وايامهم كثيرة ومنها " حرب قيس وتميم ويوم دارة مأسل ويوم النباج ويوم الوقيظ ويوم زردة ، ويوم ذي طلوح ويوم الحائر ، يوم القحقح ، يوم العظالى يوم سفوان ، يوم الغبيط ، يوم الزوريرين "(الاندلسي ،أحمد بن محمد عبد ربه ١٩٨٣،ص ٤١_٦٩).

المبحث الأول : تجليات الفخر الذاتي في شعر بني تميم

لقد تجلى الفخر الذاتي في شعر بني تميم في الجاهلية بمعان واليات متعددة ، فقد سكنت معانيه في جلّ زوايا أبياتهم وألقت بظلالها على قصائدهم وما ذلك إلا لتوافر دوافع الفخر في حياتهم، سواء كانت دوافع ذاتية اختصت بهم شخصيا، أم دوافع عامة اختصت بقبيلتهم ، فالدارس للعصر الجاهلي تاريخيا وادبيا يرى أن من أهم مظاهر الحياة الصراع الدامي والقتال

البغيض ان كان ذاتيا او جمعيا ، إذ تحولت ارضهم إلى ما يشبه حلبة صراع حربية كبيرة تقتتل فيها العشائر والقبائل والافراد، وفي كل جانب يتصايح الأبطال، وتشهر السيوف وتلمع الرماح وتصوب النبال وتدق الأعناق، وتسيل الدماء، والضباع والذئاب والنسور والعقبان وتتخاطف الأشلاء ،هذه السبل كأنها هي الوحيدة القادرة على تحقيق الذات الجاهلية ، فمن الدوافع الذاتية الفروسية والشجاعة.

فمن مظاهر تجليات الفخر الذاتي الجاهلي في شعر بني تميم في الجاهلية إغاثة الصديق من الاسر في احدى المعارك كما قال السليك بن سلكة ويعرف بانه " السليك بن عمر ، وقيل بن عمير يثربيّ ، احد بني مقاعس ، وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن مناة بن تميم ، وهو احد صعاليك العرب العدائين"(الاصفهاني ، أبو فرج ، ١٩٩٣، ج ٢٠، ص ٣٧٥)، يقول (المعيني ، عبد الحميد محمود، ١٩٨٢،ص ٥٣ _٥٤):

رَدَدْتُ عَـــلَيْهِ نَفْسَـــــهُ، فَكـأَنَّـما ... تــلاقى عَلَيْهِ مِنْسَرٌ وسُرُوبُ

فما ذرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتـــَّى أَرَيْتُهُ ... قُصَـــارَ المَنايا والغبار يثوب

وَضَارَبْتُ عَنْهُ القَوْمَ ، حَـــتَّى كَأَنَّما ... يُصَعّدُ فـــي آثارِهِمْ وَيَصُوبُ

وقلتُ له : خُذْ هَجْمَةً هَجْمَةً حِمْيَرِيَّةً ... وأهلاً، ولا يَبْعُدْ عَلَيْكَ شَرُوبٌ

وليـــلة جابـــــــانٍ كَرَرْتُ عَلَيْهِمُ ... على سَاعَةٍ، فيها الإيابُ حَبِيبُ

عَلَيْهِمُ عَشِيَّةَ كرت بالحرامي نـــاقَةٌ ... بحي هَلا تدعى بـــه فَتُجِيبُ

فَضَارَبْتُ أُولَى الخَيْلِ ، حَتَّى كَأَنَّما ... أميلَ عليها، أيْـدَعٌ وَصَبِيبُ

لقد تجلت الذات المفتخرة بابهى صورها من خلال شدة الثقة والاعتداد بالذات حيث صفها كأنها جيش جرار لايقدر عليه شيء بدلالة (منسر وسروب) و (هجمةً حِميريةً) و(فضاربت أُولى الخيل) ليدل كل ماذكر في النص السابق على تجليات الاعتداد الذاتي بنفسه وقد شارك في رسم لوحتة مع (الخيل) والذي يعد من الأمور التي لا بد منها في الحروب والاغارة ، فلا يمكن الانتصار من دون السلاح والخيل و العدد .

468-489

وعلى الرغم من حياة الصعلكة التي كان يقاسيها السليك بن سلكة لكنه ظل يحتفظ بالقيم الأخلاقية ويفتخر بذاته فيقول في ابيات من بحر الوافر (المعيني ، عبد الحميد محمود،١٩٨٢،ص ٥٦_٥٧):

وَلَكِنْ كُلُّ صُعْلُوكٍ ضَرُوبٍ بِنَصْلِ السَّيْف هاماتِ الرِّجالِ

أَشَابَ الرَّأْسَ أَنِّي كُلَّ يَوْمٍ أَرَى لِي خَالَةً وَسْطَ الرِّحال

يَشُقُّ عَلَيَّ أَنْ يَلْقَيْنَ ضَيْماً ويَعْجِزُ عَنْ تَخَلُّصِهِنَّ مَالِي

إذا أَضْحَى تَقَقَّدَ مَنْكِبَيْهِ وأَبْصَرَ لَحْمَهُ حِزْرَ الهُزَالِ

أن الشعراء الصعاليك في الجاهلية لهم سمات خاص وحياة لا يشركون فيها سواهم ، فهم ثاروا وتركوا تقاليد القبيلة وقيودها وطلبوا الحرية المطلقة بحيث لا يتحملون وزر غيرهم ولا يحملون القبيلة فلتات أفعالهم ، فالصعلوك إنسان قائم بذاته لا يعتمد على أحد إلا على قدراته الخاصة، لأنه نبذ القبيلة ، والقبيلة – أيضا – نبذته ، فلا ترابط بينهم ولا يحمل أحدهم تبعة الآخر ، لأنهم ينشدون الحرية المطلقة التي لا يحاسبون عليها ، ولا يسمحون لأحدهم أن يتدخل في شؤونهم كان ما كان ، لذلك اعتمد كل فرد فيهم على خاصية امتاز بها عن غيره و حرم في مجتمعه الأصلي من كل مظاهر القوة والسيادة والعفة جعل من ذاته تنتفض على رؤية النساء الاماء ممن يقاسين الذل والهوان ولا يستطيع تحريرهن فهو على الرغم من صعلكته الا انه بقي يحمل في مكامن ذاته ذلك الرجل العفيف على النساء ويفخر بشجاعته في قوله (كل صعلوك ضروب ، بنصلِ السيف)فقد صار للجاهلي عامية له " البأس خلقاً والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داعٍ او استفزهم صارخ" (المقدمة ، ولي الدين بن عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ،عبدالله محمد الدروش ص ٢٥١)

ويتجلى الفخر بحثيات كثيرة منها الداخلي لما يمر به الانسان من تقلبات تستدعي ان تبدع قريحته ، ومنها الخارجي مما يراه من احداث ومواقف تثير ما في داخله و تحرك ابداعة فيقول (المعيني ، عبد الحميد محمود، ١٩٨٢: ص٢٨٨) ضَمْرة و يعرف بـ (ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر ، شاعر

جاهلي اسمه في الأصل شق ، عاش ضمرة سيدا فارسا ، وخطيبا شاعرا ، وكان احد حكام تميم)(البصري ، أبو عبيدة ،النقائض بين جرير والفرزدق ،ج١،ص ١٢٦):

تَرَكْتُ بَنِي العُزِّيلِ غَيْرَ فَخْرٍ كَأَنَّ لِحَاهُمُ ثُمِغَتْ بِوَرْس

هَرَقْتُ دِماءَهُم فَشَرَعْتُ فِيهَا بِسَيْفِي شُرْبَ وَارِدَةٍ لِخَمْسِ

كَأَنَّـــهُم على حَنْفَاء خَشْبٌ مُصَـــرَّعَةٌ أَخَنَّعُهَا بِفَأْسُ

افتخر الشاعر بذاته وعظم صفاته وخصاله مستعيناً بضمير المتكلم في (تركت ، شرعت ، بسيفي ،أخنعها) ، فالذات تشعر بالنشوة عندما تسرد ماحققته من أفعال ومواقف تستدعي الفخر كالشجاعة والكرم و المروءة..الخ، ففي النص ارتفع صوت الذات المفتخرة على الأصوات جميعها من خلال سرد دموي اعتلى به البطش والقتل على كل المظاهر الأولى فقد صوره ذاته مفتخراً وتقدمه للقتال على بني كعب مقتحماً رجالهم حتى سالت الدماء منهم و كانها صبغت ب (الورس) وهو طلاء احمر ويتباهى بسلاحه الذي تنوع بين (سيف ، وفأس) ومهارته في استخدامه ، ليدل على فروسيته من خلال صورة تشبيهية جعلت من سيفه كالابل المتعطشة إلى الماء منذ خمسة أيام ، ولكن سيفه كان متعطشا لدمائهم ولقتلى الكثير منهم.

ان الشعراء في الجاهلية يتغنون بالقيم والمثل العليا، فجاءت الذات العربية تنشد الشعر في الفخر بذلك ، ومن هذه القيم هي الكرم والشجاعة وحماية الجار و المستجير والعفة و الترفع عن الدنيا فيقول طريف بن تميم (المعيني ، عبد الحميد محمود، ١٩٨٢، ٤٦٣) وهو (وطريف العنبري شاعر جاهلي ، يكنى بأبي عمرو، كان طريف رجلاً جسيماً وفارساً عظيماً من فرسان بني عمرو بن تميم بن مر، خاض الكثير من أيام تميم وحروبها)(البكري، سمط اللألىء، في شرح أمالي القالي ج١٠،ص٢٥١):

وَإِنْ قَنَاتِي لَنَبْعُ مَـــا يُؤْتِسُها عَضُ الثَّقَافِ وَلا دُهْنُ وَلا نَارُ

وإِنَّ جَارِيَ لا يَرْضَى لِمِـنعَتِهِ بأن يكون له من غَيرِنَا جَارُ

468-489

متى أجِرُ خَائِفاً تَأْمَنْ مَسَارِحُه وأنْ أُخِفْ آمنـا تَقْلَقَ بِهِ الدَّارُ

إن الأمور إذا أَوْرَدْتُها صَدَرَتْ إنَّ الأمــورَ لَهَا وِرْدٌ وَاصْدَارُ

فالشاعر يفتخر بما يملكه من صفات تأهله بان يكون مفتخراً بها وهذا هو وليد البيئة الصعبة ، فالفخر بالوفاء وحماية الجار و المستجير من أهم ماورد في النص أعلاه فهي من الشيم التي تمسك بها العربي إلى يومنا هذا ، فعندما تكون الذات مصدراً للأمان في ذلك الزمن الصعب يجب ان تفتخر وتزهو به ، فهذا الامر من شريف اخلاقه وجميل صنعه ، فجاءت الابيات بشكل متكامل وعبرت عن افتخار ذاتي بجملة من القضايا المهمة ومنها استعراض أسلحته القتالية فنلاحظ ان وصفه لذاته لم يكن مبعثراً بل انطلق من وحدة موضوعية منسجمة مع بعضها للمشاركة في أداء وظيفتها ، وهذا ليس بالامر السهل لان الشعر بصورة عامة " صعب لانه يصور صراعاً كاملاً بين الشاعر والمؤثرات التي تثيره للابداع" (بكار ،يوسف حسين ، ص٧٢) وابرز الشاعر ضمير الذات المفتخرة في قوله (قناتي ، جاري ،أوردتها) فهو يلازم سلاحه ويذود عن جاره ويحمي المستجير وهذا مافرضته عليه الحياة العربية القاسية ليكون على استعداد دائم لفعل كل ذلك وأكثر فالشجاع لايفارق سلاحه ولا يترك القيم النبيلة التي تربى عليها.

وكان للفخر الذاتي على مواجهة مآسي الحياة و القدرة على مواجهتها نصيباً من شعر بني تميم فتَوْبَة بنُ مضرّس " المعروف بالخنوت بن عبد الله بن عباد بن محرث بن سعد بن حزام بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، شاعر محسن" (الآمدي ،الامام ابي القاسم الحسن ابن بشر ، ١٩٩١ ، ص٨٤) يقول (المعيني ، عبد الحميد محمود، ١٩٨٢، ص٧٣):

وَلَمَّا رَأَتْ مَـا قَـــدْ تَفَرَّعَ لِمّــتِي مِنَ الشَّيْبِ قَالَتْ مَا لِرَأْسِ أَبِي الجَعْدِ

برأســـي خطُوبٌ لَو عَلَمَتِ كَثِيرَةٌ يَجِيءَ بِهَا غَيْرِي ، وَأَطْلُبُهَا وَحْــدِي

تُعَدِّي المُصِيبَاتُ الفَتَى وَهُوَ عَاجِزٌ ويَلْعَبُ صَرْفُ الدَّهْرِ بِالحَازِمِ الجَلْـدِ

وَإِنِّي أَمْـرِوءٌ لَا يُنْقِضُ القَوْمُ مِرَّتِي إذَا مَا انْطَوَى مِنِّي الْفُؤَادُ على الحِقْدِ

وَلَسْــتُ بِمُخْتَارِ الحَــيَاةِ بِسُبَّةٍ تَثَنَّى بِهَا حَيّاً عَلَيَّ بَنُــو سَــــــعْدِ

فنرى تعالي الصوت الذاتي للفخر وقدرته على مواجهة الدهر وحده ، فقد برز خطاب الشاعر لعاذلته ممزوجاً بالاعتداد بالذات وقدرتها على مواجهة الحياة والشدة والتحمل في التغلب على المصاعب ، (صَرْفُ الدَّهْرِ) التي ذكرها كانت كفيلة بالهلاك ولكنه قد كان (الحَازِمِ الجَلْدِ) ومن ثمة يفخر بذاته الصابرة المتجلدة المتحملة أعباء الحياة القاسية على الرغم من تقدم العمر به ولكنه لم ينسَ الفضائل الأخلاقية ، وقد ارتبط خطاب العذل واللوم عند الشعراء في الجاهلية بالمرأة فالعاذلة قد تكون زوجة، أو ابنة، أو أما ، أو جارة، لأن المرأة أقرب إلى اللوم من الرجل، فكانت تلومه على شربه للخمر، وتبذيره للمال، ومخاطرته بحياته، وكبره وشيخوخته، وغيرها من الأمور الاجتماعية التي يلجأ فيها الشاعر إلى استدعاء صوت آخر وهو صوت العاذلة، وكأنها صوت العقل الواعي، أو هاجس نفس الشاعر الحذرة التي تجادل عقله وتصرفاته في مقابل صوته المبرر والمدافع عن موقفه.

لم تكن الذات العربية في العصر الجاهلي تعرف كينونتها إلا عبر بوابة الشجاعة؛ تلك القيمة العليا التي تغنى بها الشعراء، فجعلوا من الفخر وتجلياته نشيداً يومياً يؤكد حضورهم الوجودي ، فعمدت الذات إلى نفسها بوصفها الدرع الحصين ضد الاعتداء الخارجي وصده، ورأت في الإقدام، والنجدة، والفروسية، ملامح لا تكتمل صورة العربي دونها. هذا الاعتداد بالذات الشجاعة لم يأت من فراغ، بل نحتته يد الصحراء القاسية وأجواء الحروب المستعرة، إذ عاشت القبائل حياة عسكرية صارمة، تتحرك فيها ككتائب مقاتلة ونرى في قول اوس بن مغراء(المعيني ، عبد الحميد محمود، ١٩٨٢، ص٩٧) و (هو أوس بن مغراء القريعي أحد بني جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر شاعر جاهلي وقيل أدرك الإسلام وكان يهاجم التابعة الجعدي)(البكري، سمط اللألىء، في شرح أمالي القالي ص ٧٩٥)

وفي يَوْمِ الكُلاب إذ اعتـرانا ... قَبائِلُ أَقْبَلوا متناســـبينا

قَبَائِلُ مَذْحِجٍ اجْتَمَعَتْ وَجُرْم ... وَهَمْدَانٌ وكِنْدَةُ اجْمَــعِينَا

وحِمْيَرُ، ثم ســاروا في لُهام ... على جُرْدٍ جَمِيعاً قادِرِينا

فَلَمَّا أَنْ أَتُونَا لـــــم نُكَذِّبْ ... وَلَمْ نَسْــأَلْهُمْ أَنْ يُمْهِلُونَا

نلاحظ في الابيات السابقة تصاعد لغة العنف و التحدي مما اشعل لغة خطابية تجلى الفخر الذاتي المتعالي بابهى صورة معتزاً بهويته المنتمية إلى قبلية تميم وتحقيق فوقية (الانا) فمن خلال ال (نا) في قوله (أعترانا ، قادرينا ، يمهلونا ، فقتلنا ، هاربينا ، متخشعينا) نرى التعطش لسفك الدماء من القبائل التي تريد انهاء وجودهم ، فقد اجتمعت قبائل "مذحج ، جرم ، همدان ،كندة "لمواجهتهم وقد استبسلت قبيلة " تميم "لمواجهتهم وكأنهم متعطشين لسفك الدماء و الدفاع عن نفسهم، فكانت لغتهم الشعرية في النص ذو دلالات وايحاءات لايصال المعنى من خلال تنساق القبائل ضدهم تناسقاً محشداً ومنتظماً ، وعلى الرغم من عدة وعدد الطرف الاخر إلا ان بني تميم استطاعوا ان يظفروا بالانتصار عليهم بيوم "الكلاب " الذي حدده الشاعر في النص .

ولم يغفل عن شعراء بني تميم الفخر الذاتي بالكرم ، فلم تكن قسوة الطبيعة مجرد ديكور خارجي في حياة العربي، بل كانت الإزميل الذي نحت وعيه وشكل أخلاقه، متوجاً إياها بالكرم ، وتكشف هذه الرؤية أن الجود لم يكن ترفاً عابراً، بل صرخة حياة في وجه الموت، وملاذاً آمناً من وحشة التيه والعوز. لقد تحول الكرم من مجرد سلوك فردي إلى درع جماعي يحتمي به المجتمع من قسوة الصحراء، وتجلى في الشعر لا كمديح للذات، بل كوثيقة ناطقة بوعي عميق يرى في العطاء مقاومة للفناء ، وفرضت الجغرافيا قوانينها، فكان الكرم هو الرد الحضاري البليغ الذي حفظ للإنسان بقاءه وإنسانيته في آن واحد.

وترى ذلك في قول الشاعر عَمْرُ بنُ الأهتم (المعيني ، عبد الحميد محمود، ١٩٨٢،ص١٦٧_١٦٨) ويعرف بانه نشأ في أسرة لها الشرف والسيادة، وفيها الشعر والخطابة، فأبوه سنان فارس شاعر، وأمه مية بنت فدكي بن أعبد فارس بني سعد عاش عمرو في الجاهلية سيداً شريفاً، يبغض الظلم، ويمقت الخصام ويسعى إلى مكارم الأخلاق، ونوازع السيادة وكان يدعى المكحل لجماله، وابنه نعيم من أجمل الناس) (الامدي ، المؤتلف والمختلف ص٢١).

ذَرِينِي فَإِنَّ البُخْلَ يا أَم هَيْثَـم ... لِصَالِحِ أَخْلاقِ الرِّجَالِ سَـــرُوقُ

ذَرِينِي وَحُطِّي فِي هَـوَايَ فَإِنَّنِي ... على الحَسَبِ الزَّاكِي الرَّفِيعِ شَفِيقُ

468-489

وإنّي كَريمٌ ذو عيـــال تُهمني ... نَوَائِبُ يَغْشَـــــى رُزْؤُهَا وَحُقُوق

وَمُسْتَنْبِح بعدَ الهُدُوءِ دعـــوتُهُ ... وَقَدْ حَانَ مِنْ نَجْمِ الشَّتَاءِ خُفـُوقُ

يُعَالِجُ عِرْنيناً من اللَّيْلِ بـــارداً ... تلفُ رِيـــــــــاحٌ تَوْبَهُ وَبُرُوقُ

تَأَلَّقَ فِي عَيْنٍ مــن المُزْنِ وادِقٍ ... لَهُ هَيْدَبٌ دَانِي السَّحـــابِ دَفُوقُ

أَضَفْتُ فَلَمْ أُفْحِشِ عَلَيْهِ وَلَمْ أَقُلْ ... الأحْرِمَهُ : إِنَّ المَكانَ مَضِيـــق

فَقُلْتُ لَهُ: أَهْلًا وَسَـــهْلًا وَمَرْحَباً ... فَهَذَا صَبُوحٌ رَاهِـــــنٌ وصَدِيقُ

وَقُمْتُ إِلَى البَرْكِ الهَوَاجِدِ فَاتَّقَتْ ... مَقَاحِيدُ كُـــــوم كالمَجَادِلِ رُوقُ

بأَدْمَاءَ مـــــرباع النتاج كأنها ... إِذَا عَرَضَتْ دُونَ العِشَـــارِ فَنِيقُ

بِضَرْبة ســـاقٍ أو بنجلاء ثَرَّةٍ ... لَهَا مِنْ أَمَـــــامِ المَنْكِبَيْنِ فَتِيقُ

وقـــــام إليها الجازرانِ فَأَوْفَدًا ... يُطِيرانِ عَنْهَا الجِلْدَ وَهْـــيَ تَفُوقُ

فَجُرَّ إلينا ضَـــــرُعُهَا وَسَنَامُها ... وأَزْهَرُ يَحْبُو الْقِيَامِ عَتِـــــــيقُ

بَقِيرٌ جَلَا بِالسَّيْفِ عَنْهُ غِشَاءَهُ ... أَخٌ بِإِخَاءِ الصَّالِحِيـــــنَ رَفِيقُ

فَبَاتَ لَنَا مِنْـها وللضَّيفِ مَوْهِناً ... شوَاءٌ سَـــمِينٌ زَاهِقٌ وَغَبُـــوقُ

وَبَاتَ لَهُ دُونَ الصَّبَا وَهْـــيَ قَرَّةٌ ... لِحَافٌ ومَصْقُولُ الكِســـاءِ رَقِيقُ

ان فضيلة الكرم من الخصال التي تعد من الخصال النبيلة التي افتخرت بها الذات الجاهلية وتجلت من خلال نصوص شعرية في الشعر الجاهلي عامة وشعر بني تميم خاصة ، فهذه البيئة الشحيحة المترامية الأطراف واعظم ما يكون الكرم لديهم في ليالي الشتاء والباردة وقلة الموارد ، فبهذه الليالي يكون الفخر ذو لغة عالية في تعظيم الذات المفتخرة ويعد " نوع من التعبير عن الذات ، ومظهر من مظاهر اعجاب الشاعر بنفسه المفطورة على حب الظهور ، والنزوع إلى التفوق و الاقتدار" (شامي ، د. يحيى ، ص٥)وتوضح ذلك من خلال صورة سردية جعل الشاعر نفسه موضع فخر بكرمه فنرى الأدوار السردية توزعت على الشخصية المحورية والرئيسة

468-489

الا وهي الشاعر وهو الرواي ، والشخصية الثانية وهي المخاطب (ام هيثم) وهي العذلة في النص اعلاه "فالمرأة غالباً ما كانت تعذل لاسباب تتصل بالجود والسخاء"(نعناع ، د. محمد فؤاد ١٩٩٤،ص٥٦) وشخصية (الضيف) من خلال قوله (اضفت) وهو نزول الضيف عنده ليحدد فيما بعد (الزمان والمكان) فأختار الزمن كما موضح سابقاً وهو اشد مايكون القحط في ليل الشتاء الباردة من خلال قوله (نجم الشتاء خفوق) و (من الليل بارداً) ليؤكد بعد ذلك على قسوة الظرف آنذاك ليقول (تلف رياح ثوبه وبروق) وقوله (عين من المزن وادق)، اما المكان فقد تطرق له سريعاً ووصفه بالتهيئة لذلك الضيف المفاجئ .

تجلت الذات المفتخرة بوساطة نص شعري جاء بطريقة سردية مما مهد الطريق لايضاح المعاني بطريقة متسلسلة للقراء فهناك مشاهد متعددة من احداث وتطورها إلى ان تصل إلى الذروة وانحلالها فكما اشارنا سابقاً هناك الشخصيات والزمان والمكان و الاحداث ، فالفخر بالكرم مما اشتهروا به العرب ولاسيما ما قبل الإسلام عن سائر الأمم الأخرى .

وكان لهذا الفعل رمز يمجد به وبالمقابل كانوا ينكرون البخل ويمقتوه ، ومن الجدير بالذكر ان الجاهليين كان الكرم و الضيافة كالوراثة حتى اصبح جزء من هويتهم التي لاتنفك عنهم ، وكان لعامل التنقل وانعدام الاستقرار ترسيخ مثل هذه القيم ومن اهم مظاهر الكرم هو نحر الناقة أو الإبل واكل لحمها ، وهو من اهم المواطن للمفاخرة ولاستذكار اكرام الضيف وهذا ماوصفه شاعرنا في نصه أعلاه في قوله (بادماء مرباع .....) ليجسد الشاعر آنذاك ان الايثار اسمى غاية الجود وهو تفضيل الضيف على الذات .

ومن تجليات الذات المفتخرة بالكرم نراه يقول (المعيني ، عبد الحميد محمود، ١٩٨٢، ص١٧٤)

وليلة يَصْطَفِي بِالفَرْثِ جَـازِرُهَا ... يختص بالنقرى المثرين دَاعِيها

لا يَنْبَحُ الكَلْبُ فيها غير واحِدَةٍ ... منَ العِشَاءِ وَلَا تَسْـرِي أَفَاعِيهَا

رَفَعْتُ نَارِي عَلَى عَلْيَاء مُشْرِفَةٍ ... يُدْعَى بها لِلْقِرى والحَقّ سَارِيهَا

جاء الشعر الجاهلي ليمثل انعكاسا للحياة الجاهلية بطريقة احترافية ويعكس تفاصيلهم جميعها من خلال اللغة والأسلوب لتخرج لنا نصوصا محكمة تعبر عن الواقع بكل جزء منه ،

فكان التكافل الاجتماعي ومن ابسط صوره هو الجود والكرم وأهمية رعاية الضيف وتقديره و مما جعلهم يفتخرون بهذه المهمة التي لم تكن بالسهلة لما يكتنفها من تكلفة ومشقة في ظل الطبيعة القاسية التي كانت تحيطهم من كل جانب ، مما جعل ذلك قيدا اجتماعيا واجب التطبيق ويذم ويهجو كل من خالفه " فالنظام الاجتماعي لا يخرج كونه نسقاً يربط أجزاء المجتمع بعضها ببعض ويربط تلك الأجزاء في الوقت نفسه بالمجتمع بطريقة مقصودة " (لطفي ، عبد الحميد ،ص٦٧) فنرى في الابيات السابقة التأكيد على القيم التي لا يمكن تركها وكان لهذهِ العادة بعض التفاصيل المهمة ومنها (اشعال النار) ليهتدي لها الضيوف " كان المسافرون يجبون الصحراء الواسعة ، واذا ماحل الظلام فإنه كان يتوجب عليهم البحث عن المأوى و القرى وهنا يأتي دور النار التي كانت تجذبهم ، وترشدهم إلى بيوت الاجواد الذين كانوا على استعداد دائم لاستقبال الغرباء" (نعناع، محمد فؤاد ،ص٨٢) وأشار الى ميزة أخرى من خلال قوله " لا ينبح الكلب فيها غير واحدة " حيث اعتاد " الشعراء تصور كلاب المضيف على انها أليفة ولا تهاجم الضيوف .. وانها اعتادت رؤية الناس الغرباء (نعناع، محمد فؤاد ، ص٨٨)' فقد تربع الكرم على عرش القيم الجاهلية، إذ كان الجسر الوجودي الواصل بين الأنا والآخر في بيداء تتسم بالشح والجدب.

وقال في موضوع الفخر الذاتي يقول حري بن ضمرة(المعيني ، عبد الحميد محمود، ١٩٨٢، ص٣٠٧_٢٠٨)

بَكْفِي حُسَامُ ما نَبَا عن ضريبةٍ ... وَنَبْعِيَّةٌ مِمَّا تَـــجُودُ عُلَيْـــبُ

أمْرٌ لَهَـــا مـــرْبُوعُ مَتْنٍ كَـــأَنَّهُ ... أمْـــرٌ لَهَا مـــرْبُوعُ مَتْنٍ كَأَنَّـــهُ

وَزُرقٍ قِرانٍ يَقْلِصُ الســم دونَهَا ... يـــذر عَلَيْهَا ســـــمُها وتـــذوب

لَنَا رَأْسُ رَبْعِي مِنَ المَجْدِ لَمْ يَزَلْ ... لَدُنْ أَنْ أَقَامَتْ فِـــي تِهَامَةَ كَبْكَبُ

أبَى اللَّهُ مَا دَامـــتْ ذُؤَابَةُ دَارِمٍ ... لي الدَّهْرَ عم يحرثُ المَجْدُ أَوْ أَبُ

ان الذات الجاهلية تعتمد على تمجيد ورفع كل ما شأنه ان يحافظ على عزتها وكرامتها ضد المعتدي ، فقد عاش الجاهلي في عالم لا يرحم ، فهو يخوض حروب لا هوادة مع كل المحيط به من بيئة قاسية وقوانين قبلية جائرة و حروب لا ناقة لهُ فيها ولا جمل ، فالحروب ما تكاد ان

تخمد حتى تشتغل حروب جديدة، وفي ظل هذه الدوامة المترامية الأطراف تبرز مسألة الاعتداد بالشجاعة من خلال أسلحته فيبرز في النص السابق كل من (السيف والقوس والرمح) فلم يكتف بذكرهن وانما تعمق أكثر ليغور الشاعر في احقاق ذلك الوصف وكأنه يريد ان يقول ان اسلحتي أختيرت بعناية ويفخر بذاته من خلالها بدلالة قوله (بكفي حسام) ، فجعل منه كجزء لا يتجزء من ذاته التي تعتز بالعدة والعدد ، فهو لا يملك أسلحة فقط وانما هذه الأسلحة فتاكة ولا ينجو من هدفه أي أحد ، لكل ضربة سيف أو هزة رمح تكون موثقة : لأنها سوف تحقق غايتها في استئصال العدو والتمكن منه .فاستطاع الشاعر من خلال نصه الفخري إيصال صوته الصادح بالشجاعة من خلال لغة ارتبطت فيما بعضها لتجسد لنا رؤيته المتغنية بالاقدام وخوض المعارك و"ان كل مايريد الشاعر أداءه إلينا من مضمون فكرة وعاطفته انما يؤديه إلينا عن طريق الكلمات اللغوية"(النويهي ،د. محمد ،،ص٣٩) وانطلاقا من القول " الشعر هو سجل مفاخر ، ومقيد المآثر فكان من ميادينه الفخر بالقبيلة ، والفخر بالنفس "(بدوي ، د. احمد ، ، ١٩٩٦م، ص ٢١٩)

المبحث الثاني : تجليات الفخر الجماعي في شعر بني تميم

لم تكن القبيلة في العرف الجاهلي مجرد تجمع بشري، بل كانت كياناً حربياً صاغته نيران الصراعات المستمرة وحياة الكر والفر ؛ مما جعل الفخر الجماعي يتمحور حصرياً حول المنعة والاقتدار، لقد فرض قانون الصحراء الصارم معادلة وحيدة للوجود : القوة هي مرادف الكرامة والضعف هو الوجه الآخر للفناء.

ومن هذا المنطلق، تشكلت تجليات الفخر الجماعي في شعر بني تميم في الجاهلية في ثلاث ركائز أساسية:

١. تقديس الشجاعة كهوية : نظر الشاعر من بني تميم إلى الشجاعة والإقدام لا بصفتها فضائل فردية فحسب، بل كرأسمال جماعي للقبيلة بأسرها فالحرب الدائمة جعلت من التلاحم والبسالة طوق النجاة الوحيد، فأصبح الفرد يفخر بكونه جزءاً من كتلة صلبة لا تنكسر، قادرة على فرض سيادتها بالحديد والنار.

468-489

٢. ازدراء الضعف والجبن : كان الفخر الجماعي لبني تميم في الجاهلية يستمد قوته أيضاً من نقيضه؛ فقد ساد احتقار شديد للقبائل الضعيفة أو المستكينة. فالجبن في هذا الميزان ليس مجرد صفة ذميمة، بل هو عار اجتماعي وذل يلحق بالجميع؛ لأن القبيلة التي لا تغزو ولا ترهب أعداءها تفقد حقها في الاحترام، وتخرج من دائرة الفخر إلى دائرة الهوان.

٣. الشعر سجل انتصارات الجماعة : تجلى هذا الفخر بأوضح صوره في شعر بني تميم في الجاهلية، الذي تحول إلى بيان عسكري" يتغنى ببطش القبيلة بأعدائها. لم يكن الشاعر يصف المعركة فحسب، بل كان يفاخر بالقدرة الجماعية على إلحاق الهزيمة بالآخرين، والتباهي بكثرة القتلى والسبي، والغنائم، معتبراً أن هذه الأفعال هي الدليل الدامغ على عزة قومه ورفعة مكانتهم بين العرب فيقول اوس بن مغراء في تجليات الفخر الجماعي بقومه(المعيني ، عبد الحميد محمود، ١٩٨٢،ص ١٠٠) :

وَلَا يَرِيمُونَ فِي التَّعْرِيفِ مَوْقِفَهُم ... حَتَّى يُقَالُ أَجِيزُوا آل صَفْوَانَا

مَجْـــدٌ بَنَاهُ لَنَا قِـــدْما أوائِلُنَا ... وَأَوْرَثُوهُ طِـــوالَ الدَّهْرِ أُخْرَانَا

تَرَى ثنانا إذا ما جـــاء بَدأَهُمُ ... وَبَدَؤُهُمْ إِنْ أَتَانَا كَـــانَ ثِنْيَانَا

ما تطلع الشمس إلا عند أولنا ... ولا تغيّب إلا عنـــــد أُخْرَانا

إن القبيلة في العصر الجاهلي المرتكز الأساس في التركيب العام للنسق الاجتماعي في عصرهم آنذاك ، نرى في الابيات السابقة ذوبان الذات المنفردة بالقبيلة فهذا التمجيد العالي الجماعي المنصهر بالجماعة انصهاراً تاماً ظهر جلياً ليعبر عن فخر بصيغة الانا العليا المرتفعة عن الجميع ، فالشعر أداة فعالة " وما سجل مفاخر القبائل العريقة في الجاهلية إلاشعراؤها ، ونالت قبيلة من عددها يمثل ماكانت بهذا السلاح الباتر المصمى) (عبدالرحمن ، د.عائشة ، ص٢٩) .

ويعد الشاعر في الابيات السابقة لسان حال قومه وصاغ تأملات قومه من خلال نص شعري جعل منهم حالة نادرة وبث فيهم حالة من المجد الذي توارثوه من اسلافهم من خلال قوله "مَجْدٌ بَنَاهُ لَنَا قِدْما أوائِلُنَا" فهذا الفخر الجماعي بالحسب الماضي فلم يكن بجديد على البيئة الجاهلية

وانما امر مألوفا و متعارفا عليه ، ولكن الإضافة التي التفت إليها الشاعر في قوله " وَأَوْرَثُوهُ طِوالَ الدَّهْرِ أُخْرَانَا" فربط الفخر بالماضي من من خلال ربطه في الحاضر فقومه قد حافظوا على ذلك الإرث ولم يخذلوا تراثهم ، وفي نهاية الابيات استعان بالظواهر الطبيعية لاثبات صورة القوة والكثرة ، طلوع الشمس ، وغيابها ، فمن خلال التضاد بين (الطلوع والغياب) استطاع إيصال صوته عبر الزمن للاشادة بقبيلته ، يقول المخبل السعدي وهو " ربيع ابن ربيعة بن عوف بن قتال بن انف الناقه (البغدادي ، عبد القادر بن عمر،ص٩٣) في الديوان (المعيني ، عبد الحميد محمود، ١٩٨٢، ص١١٧):

فَمَنْ يَرَ مَجْداً فـــي قريع فإنَّه ... تُـــراثُ أَبيها مَجـْدُهُ وَفَواضِلُـهُ

جَعَلْنَا لَـــــهُ أَثْمَانَهَا مِنْ بُيوتِنَا ... وَحَلَّتْ إلينا يَـــوْمَ حُلَّتْ رَواحِلُهْ

وكائن لنا من إرثِ مَجْدٍ وسُؤْدَدٍ ... مَـــوارِدُهُ مَعْلُـــومَةٌ وَمَناهِلُـــهُ

وَمِنَّا الَّذِي رَدَّ المُغِيرَةَ بَعْدَمَـــا ... بَدَا حَامِلٍ كَاللَّوْثِ تَبْدُو شَـــواكِلُهْ

أُتِيحَ لَهَا مَا بينَ أَسْفَلِ ذِي حُسى ... فَحَزْنِ اللُّوَى وادي الرُّسَيْسِ فَعاقِلُهْ

هَزْبَرٌ هَرِيَتُ الشَّدْقِ رِثْبَالُ غَابَةٍ ... إذا ســــــادَ عَزَّتْهُ يَدَاهُ وَكَاهِلُهُ

شَتـــيمُ المُحَيَّا لا يُخَاتِلُ قِرْنَهُ ... ولكنهُ بالصَّحَصَحَانِ يُنَازِلُـــهْ

ان شعراء بني تميم لم يكونوا بمعزل عن الشعراء في الجاهلية فقد كانوا صوتاً صادحا لأمجاد قبائلهم وصدى هادراً للسان حالها ؛ فقد انبرى الشعراء يترنمون بأنسابهم مفتخرين بعروقهم التي تجري فيها دماء واحدة لقد تماهى الشاعر مع قبيلته حد الامتزاج، موقناً بأن الجميع أغصان لشجرة واحدة وجد واحد ، ان هذا الانتماء العميق لم يكن مجرد رابطة بيولوجية فحسب، بل ميثاقاً مقدساً يصهر الجميع في بوتقة واحدة، حتى وإن شملت تلك البوتقة حلفاء من قبائل شتى. وتؤكد الابيات السابقة على الفخر الجماعي للقبيلة والموروث لهم عبر الجيال " لانعرف امة عاش ماضيها في حاضرها ، وكان له الأثر الفعال في توجيه حياتها الاجتماعية والسياسية والأدبية ، كالامة العربية"(د، احسان عباس،١٩٧٣ ، ص ١٣) فمن خلال دلالة (تراثُ ابيها ، أرث مجدٍ وسؤدد) وهذا يجسد مظهراً من مظاهر العصبية القبلية التي تعد الركيزة الأساسية المجتمعية

آنذاك فهذا الدم يتم توريثه والابعاد تورث من الاسلاف إلى الأبناء كالدم ويقول المخبل السعدي في موضع آخر(المعيني ، عبد الحميد محمود، ١٩٨٢،ص ١٢٥):

وإنَّا أُناسٌ تَعْرِفُ الخَيْلُ زَجْـــرَنَا إذا مَطَرَتْ سُحْبُ الصَّوارِمِ بالدَّم

وإنَّا لَنُعْطِي الحَقَّ مَنْ لَوْ نُضِيمُهُ أقَـــرَّ وَنَأْبَى نَــحْوَةَ المُتَظَلِّــمِ

وَرَدُّوا صُدُورَ الخَيْلِ حَتَّى تَنَهْنَهَتْ إلى ذِي النَّهَى وَاسْتَيْقَهُوا للمُحَلَّم

ان صورة الفخر الجماعي للقبيلة التي تمثلت في دمج الشجاعة بصور من الطبيعة المتحركة والطبيعة الصامتة لكي يبين صورة القبيلة الأقوى التي لاتهزم "فالشاعر يسير دائماً في ركابها ، ويشد نفسه وفنه إلى عجلتها ويربطها بأحداثها .. ويسجل انتصاراتها في شعره ويمجد ابطالها بعد القتال" (خليف ،د.يوسف ، ١٩٨١، ص ١٧٥)

فجاء بالعنصرين (الخيل ، والسحب) ليؤكد تعاضد العنصرين في اكمال المشهد الصوري ويتجلى الفخر الجماعي متعاضداً مع العنصرين المذكورين سابقاً ، فالخيل تعرف زجرهم ، لانهم فرسان ، وكما هو معروف فان الفروسية في الشعر قد امتزجت مع الفخر امتزاج يكاد لاتعرف بينهما لانها جزء لايتجزأ من حياة العرب وحروبهم وغاراتهم وعلاقتها في محاولتها لا كتساب المجد ، فنرى في الابيات السابقة صورة للفارس الذي لايعلو على صوته أي صوت من خلال فخر جماعي تجلت من خلاله القوة و القدرة ومن خلال قوله (نخوة المتظلم . وفي موضع اخر يقول يقول عَمْرُو بن حوط" (المعيني ، عبد الحميد محمود، ١٩٨٢، ص ٢٣١)

قَسَطْنَا يَوْمِ طِخْفَةَ غَيْرَ شَـكٍّ عَلَى قَابُوسَ إِذْ كَرِهَ الصَّبَاحُ

لَعَمْرُ أبيكَ والأَنْبَاءُ تُنْـــمِي لَنِعْمَ الحَيُّ فِي الجُلَّى رِيَـاحُ

أَبَوْا دِيـــنَ المُلُوكِ فَهُمْ لَقَاحٍ إذَا هِيجُوا إلى حَرْب أَشَاحُوا

فَمَا قَوْمٌ كَقَوْمِي حِينَ يَعْلُـــو شِهَابُ الحَرْبِ تُسْعِرُهُ الرِّماحُ

وَمَا قَوْمٌ كَقَوْمِي حِينَ يَخْشَى عَلَى الخَوْدِ المُخَدَّرَةِ الفِضَاحُ

أذب عن الحفائظ فـي معد إذا مـــا جَدَّ بالقوم النطاح

كَأَنَّهُمُ لـــوقع البيض بُزْلٌ تَغُضُ الطَّرْفَ وَارِدَةَ قِمَـــاحُ

صَبَرْنَا نكسرُ الأَسْلَاتِ فيهم فَرُحْنَا قَاهِرِينَ لَهُم وراحـــوا

وَرُحْنَا تَخْفِقُ الرَّايَاتُ فِيـــنَا وأبنا والمُلوكُ لَهُمْ أَحَـــاحُ

ان الطبيعة المستعدة دوماً للقتال جعلت إزاء ذلك استعداد الشاعر للتسجيل مفاخر قومه في الانتصار في المعارك ، فحياتهم متمرة تحت وقع الحروب وصهيل الخيول وسماع صليل السيوف فنرى ذوبان الذات ليبرز لها صوت القبيلة وانتصاراتها ليؤكدها على مرتين صرحاً في النص عند قوله (فما قوم كقومي) و (ما قوم كقومي)، وهذا يؤكد على ان العربي يعتز بقبيلته وتعد هذه من البواعث الخارجية التي تثيرها الكثير من الأسباب منهما الحروب والانتصارات و الكرم .... الخ، وكانت الابيات أعلاه والانتصار المحقق في (يوم طخفة) مجالاً للتفاخر الجمعي بسبب القوة والبطش و الهيمنة ، فهو مجتمع يعيش بمبدأ الغاب ، اذ لا مكان للضعفاء والخاسرين والاذلاء ، وفي الابيات نلاحظ ان الشاعر عندما أراد الحديث عن قبيلته استخدم ضمائر المتكلم مثل (قسطنا ، كأنهم ، صبرنا ، رحنا ، ابنا ، قومي ، اذب) وعندما أراد الحديث عن الآخر (هم) فجاءت اللغة شريكاً مع الواقع لبيان ما تحقق على سواعد القبيلة وهذا هو ما يريد ايصاله للمتلقي من خلال نصه الفخري فهو كل " ماله صلة بالقبيلة من فخر بأمجادها ، وذكر لايامها ، ودفاع عنها ، وهجاء لخصومها وثأرها لقتلاها " (الاشتر د.محمد صبري ، ١٩٩٤ _١٩٩٥ ، ص ٣٧٧) لم تكن نصرة الشاعر من بني تميم لقبيلته مجرد اندفاع وجداني بل كانت استجابة لشرط وجودي؛ فالانتماء القبلي هو حجر الزاوية في النظام الاجتماعي آنذاك. وقد تجسد هذا الانتماء في مفهوم العصبية القائمة على وحدة الدم والمصير. ولم تقف هذه العصبية في الشعر الجاهلي عند حدود القوة والقتال، بل تسامت لتشكل وعيا عصبيا ذا بعد أخلاقي وإنساني وشعري، يعمل كقوة موازنة بين جبروت القوة وسلطة الحق ، كاشفةً عن جوهر إنساني نبيل يتوارى خلف ضجيج المعارك وصليل السيوف

ويقول جشيش بن نمران في تعضيد انتصارات القبيلة (المعيني ، عبد الحميد محمود، ١٩٨٢،ص٢٣٧) وهو (هو جشيش بن نمران من بني حميري بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم شاعر جاهلي، وفارس من فرسان يربوع، شارك في يوم ذي نجب، ويوم القحقح، وغيرها من الأيام) (النقائض ،ج٢،ص ٢٧٧):

وَإِذَا لَقِيتَ القَوْمَ فَاطْعَنْ فِيهِمْ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَطَعْنَةِ المِنْهَالِ

تَرَكَ المَجَبَّةَ لِلضِبَاعِ مُنَكِّساً والقَوْمُ بَيْنَ سَوافِلٍ وَعَوالِي

احتل الحيوان في الشعر الجاهلي مساحة واسعة ، وعدّ من الاليات التي تحدث علامة فارقة في النص الادبي ويدخل كعنصر أساس في تكوين الصورة لايصال المقصدية لما له من قيمة تعبيرية مهيمنة ، وقد استدعى الشاعر (الضباع) لتعضيد الفخر بانتصارتهم في يوم القحقح ، ومن الجدير بالذكر ان اليوم المذكور هو يوم " أغارت بنو ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان على بني يربوع ، ورئيسهم مجبة بن ربيعة ابن ذهل ، فأخذوا أبلا لعاصم بن قرط بني عبيد ، وانطلقوا : فطلبهم بني يربوع فناوشوهم ، فكانت الدائرة على بني ربيعة ، وقتل المنهال بن عصمة المجبة بن ربيعة (الاندلسي ،الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه ، ١٩٨٣م ، ص٥١) وأشار الشاعر في هذين البيتين الى كيفية جعل الآخرين طعاما للحيوان البري حيث ان " الضبع من الحيوانات التي عرفت بولعها بجيف الموتى ، ولهذا اقترنت صورة هذا الحيوان بصورة الفزع من الموت الذي لا يعرف مصير الجسد بعده (القيسي ، د. نوري حمودي ، ١٩٧٠ ، ص ١٦٤)

والفخر كذلك في آخذ الثأر لحَري بن ضَمرة (المعيني ، عبد الحميد محمود، ١٩٨٢،ص ٣٠٧)

فَيا وَيْــحَ شَـــمَّاسٍ عَلَيْنَا وَرَهْطِه إِذَا النَّاسُ عَدُّوا قَبْصَهُم وَتَحْزَبُوا

وَلَاذَ الدَّلِيلُ بِالعَزِيزِ فَلَـــمْ يَكُـــنْ إِلَى رَهْطِ شَمَّاسٍ مِنَ الذُّلِّ مَهْرَبُ

فأَنْتَ على مَا كَانَ مِنْ شَحْطِ بَيْنَنَا كما قِيلَ لِلوَاشِـــي أَغَشُ وَأَكْذَبُ

ان القارئ للابيات الشعرية يجد انها تصف الفخر بأخذ الثأر ومشاهد القتل وتفاصيله فيذكر المقتول في قوله (تقتلوا كريماً) إشارة إلى علقمة بن زرارة ، ومن قتلوه ثأراً وهو (أشيم بن

468-489

شراحيل) فهذا الخطاب يعطي زيادة في التأثير وتتأجج فيه روح الثأر والتعبير عن الغضب والانفعال بسبب ان موضوع الفخر بأخذ الثأر له تداعيات اجتماعية وإعلامية تصب في خدمة الفرد والقبيلة ، وقد منحننا خلال الشرط والقسم في قوله (فان تقتلوا) (فاننا قتلنا) والقسم في (آليت) أعطت نوعا من القوة و التحدي إلى جانب الفخر بأخذ الثأر " لقد اعتقد الجاهلي بأن نيل الثأر و إدراكه هو سمة من سمات الرجولة ، التي مكنت الجاهلي من الفخر والتباهي عند نيله"(صالح ، د. توفيق إبراهيم ٢٠١٣ ، ص٢)

ويقول الشاعر لقيط بن زرارة من بني تميم (ولقيط سيد فارس، ترأس تميماً في كثير من أيامها وحروبها ، قاتل في يوم رحرحان الذي أسر فيه أخوه معبد بن زرارة، ووفد لقيط في فدائه فلم يقبلوا منه غير دية ملك. وجمع لقيط في يوم جبلة جيشاً لجبا لم تشك العرب معه في هلاك بني عامر بن صعصعة ومن يتبعهم ، ولكن الهزيمة لحقت بتميم وتمزقت أخلاقها، وقتل لقيط رئيسها ، وخبا نجم الفارس الشاعر الذي كان في الذروة العليا من سعة الجاه وعز العشيرة) (ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٧١٠) ، (المعيني ، عبد الحميد محمود، ١٩٨٢، ص٣١٧) :

فَإِنَّ تَقْتُلُوا مِنَّـــا كَرِيماً فَإِنَّنَا قَتَلْنَا بِهِ مَأْوَى الصَعَالِيكِ أَشْيَمَا

جَدَعْنَا بِهِ أَنْفَ اليَمَامَةِ كُلّـهَا فَأَصْبَحَ عرنين اليَمَامَةِ أَكْشَـمَا

قَتَلْنَا بِهِ خَيْرَ الضبيعاتِ كُلِّهَا ضُبَيْعَة قَيْسٍ لا ضُبَيْعَة أَضْجَمَا

وَآلَيْتُ لا أسى على فقد هالك ولا فَقْدِ مَالٍ بَعْدَكَ الدهر عَلْقَمَـا

ومن تجليات الفخر بالشجاعة الجمعية هو محور الفخر بآخذ الثآر ، فهذا الموضوع يكون شعلة من الغضب والنار التي لا تنطفئ إلا بالدم ، وهذا ما دار فعلاً في الابيات السابقة فقد قتلوا بني تميم (اشيم بن شراحيل) ثأراً لعلقمة بن زارارة الذي قتله البكريون ، فكأن نقطة أخذ الثأر و الفخر به هي نقطة التحول وانطلاق حياة العزة والكرامة ، فقد ابتدأ الشاعر ابياته بالفخر بالمقابلة من خلال أسلوب الشرط في (فإن تقتلوا منا) و (قتلنا به) ليؤكد على مفخرة بانه نال الثأر منهم ، وجاء التكرار في(قتلنا) مرتين بانه اعلان ذاتي رسمي يتجلى من خلاله الفخر بالفعل ، فكانه لايسعى بالحياة إلا لأجل الثأر ،وبين الشاعر في البيت الأخير مدى حزن الذات الفاقدة وكأنها

لا تعرف حزناً بعد حزن القتيل ، ويتجلى من خلال النص ان الذات من خلال الافتخار قد أعلنت التغني بعد ان يدرك الموتور ثأره .

الاستنتاجات والتوصيات

كانت قبيلة بني تميم من القبائل البدوية التي اتسمت ألفاظ شعرائهم بالغرابة والجزالة، بسبب وعورة الصحراء وعنجهية البدواة، وخشونة العيش، ولتأثر شعرائهم بمظاهر البيئة الجاهلية، كما ترك أثرها في قوة طباعهم، ونظام اجتماعهم، فجاءت كلماتهم قوية قوة هذه الجبال بسبب انعاكس البيئة الصحراوية على النص الشعري، وجاءت الصور البلاغية ومجازاتها من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز، كل ذلك متصل ومتأثر بحياة البادية وأحداثها وطبيعتها، ويختلف هذه التأثر من بيئة لأخرى بين البادية والحاضرة ، ولكل من هؤلاء أمزجة وطباع يصدرون عنها في شعرهم وجاءت تجليات الفخر في ديوان شعر بني تميم في العصر الجاهلي مليئة بالذاتية تارة وفي الجماعية تارة أخرى ، وإلى جانب ذلك نرى الاتي :

١. وقف الشاعر من بني تميم متغنياً بشجاعته وفروسيته مستعيناً بلغة قوية وجزلة .
٢. مثل الشاعر اللسان الناطق والصوت الإعلامي لقبيلته وسطر انتصارتهم الواقعية من خلال ابيات شعرية كانت الصدى الحقيقي لهذه الامجاد
٣. فخر الشاعر التميمي كبقية الشعراء الجاهليين بنفسه من شجاعة واقدام ومواجهة المخاطر وفخر بكرمه وعطاؤه .
٤. جاءت لغتهم جزلة وقوية لتعبر عن المعان المراد ايصالها إلى المتلقي
٥. تنوعت أدوات الحرب في فخرهم من رماح وسيوف وقدرته على استخدامها

المراجع

- الاشتر د.محمد صبري ، العصر الجاهلي (الادب والنصوص المعلقات) ، جامعة حلب ، كلية الاداب والعلوم الإنسانية مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، ١٩٩٤ _١٩٩٥.
- الاصفهاني ، أبو فرج ، الأغاني ، تحقيق :علي النجدي ناصف ، الهيئة المصرية العامة ، ١٩٩٣، ج ٢٠

468-489

- الآمدي ،الامام ابي القاسم الحسن ابن بشر ، المؤتلف والمختلف في اسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وانسابهم وبعض شعرهم، تحقيق :د.ف كرنكو ، دار الجل ، بيروت ، ط١.
- الاندلسي ،الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه ت٣٢٨ هـ ، العقد الفريد ، ، تحقيق د. عبد المجيد الترحيني ، ج٦ ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١، ١٩٨٣م .
- بدوي ، د. احمد ، أسس النقد الادبي عند العرب، دار نهضة مصر، ١٩٩٦م .
- البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، خزانة الادب ولب لسان العرب ، ت ١٠٣٠_١٠٩٣ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٢ .
- بكار ،يوسف حسين ، بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوءالنقد الحديث) د. ، دار الاندلس للطباعة ، بيروت ط٢ .
- خلدون ، ولي الدين بن عبد الرحمن بن محمد بن ت ٧٣٢_٨٠٨ هـ ، المقدمة ، تحقيق : عبدالله محمد الدروش ط١،ج٢ .
- خليف ، د.يوسف ، دراسات في الشعر الجاهلي ، دار غريب ، ١٩٨١ .
- شامي ، د. يحيى، أروع ما قيل الفخر ، دار الفكر العربي بيروت .
- الصالح ، د. صبحي ، دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٤ ط ٣ ،ص ٧٢. ١٠٥
- صالح ، د. توفيق إبراهيم ،القيم في الشعر الجاهلي ضابطاً اجتماعياً (قيمة الثأر أنموذجاً) ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية ، مجلد (٨) عدد(١) لسنة٢٠١٣ ، جامعة كركوك ،
- عباس ، داحسان ، العصبية القبلية واثرها في الشعر الأموي ، دار الفكر ،١٩٧٣ ، ط٢ .
- عبد الباقي، د. ضاحي ، لغة تميم دراسة تاريخية و صفية ، الهيئة العامة للشؤون المطابع القاهرة ، ١٩٨٥
- عبدالرحمن ، د.عائشة ، قيم جديدة للادب العربي القديم والمعاصر ، دار المعارف ، مكتبة الدراسات العربية ط٢ د.ت .
- الفريح ، د. عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن ، فضائل بني تميم في السنة النبوية ، الرياض ، ٢٠٢١ ، ط٤.
- القيسي ، د. نوري حمودي ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ، الشركة المتحدة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٠ ،

- لطفي ، عبد الحميد ،علم الاجتماع ، دار النهضة ، بيروت .
- الماضي ‘ فوزان بن حمد محمد ‘ بنو تميم عبر التاريخ ، ط١، ٢٠٠٢.
- المعيني ، عبد الحميد محمود، شعر بني تميم في العضر الجاهلي : جمع وتحقيق: المعيني ، عبد الحميد محمود، نادي القصيم الادبي ، السعودية ، ١٩٨٢.
- نعناع ، د. محمد فؤاد ، الجود والبخل في الشعر الجاهلي ، ، دار طلاس ، ط١، ١٩٩٤.
- النويهي ،د. محمد ، الشعر الجاهلي (منهج دراسته وتقويمه) ،الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة